

تجليات الأنساق الثقافية في شعر ريم السيد

Manifestations of cultural patterns in Reem Elsayed's poetry

رضا عامر

جامعة باتنة 1، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية (ميلة – الجزائر)

ridha.ameur@univ-batna.dz

النشر: 2026/06/30

القبول: 2026/06/29

الاستلام: 2026/03/13

ملخص:

شهدت الساحة النقدية المعاصرة ظهوراً ملفتاً وفاعلاً للنقد الثقافي، وذلك بعد أن أثبت العديد من الباحثين المشتغلين في حقل الدراسات الثقافية نجاح هذا النوع من النقد في الكشف عن مختلف الأنساق المضمرّة خلف المنظومة اللغوية والجمالية للعديد من الأجناس الأدبية، حيث فتحت هذه الأنساق نافذة واسعة لمختلف النقّاد من أجل الولوج إلى هذه الرموز، والمعارف التي كانت متخفية في سياق النص المصاحب لها وتحريرها من هيمنة النص واللغة التي تطبق عليها، وهذا ما خلق مجالاً واسعاً لتعدد القراءات النقدية، وتفعيل مختلف آليات النقد أثناء نقد النص ورسم معالمه اللغوية والجمالية، وهو ما جعل بضرورة فهم ما يريد نقله المبدع من أفكار ورؤى، وتمثيلات ثقافية للمتلقي من أجل فهم منطلقاته، وأهدافه المضمرّة داخل سياق النص الأدبي، وهذا فعلاً قد تجسّد بشكل كبير في شعر المبدعة السورية (ريم السيد) من خلال مدوناتنا الشعرية الغنية بهذه الأنساق الثقافية المضمرّة.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي ؛ الأنساق؛ النص؛ تمثيلات ؛ ريم السيد.

Abstract:

The contemporary critical scene witnessed a remarkable and active emergence of cultural criticism, after many researchers working in the field of cultural studies proved the success of this type of criticism in revealing the various implicit patterns behind the linguistic and aesthetic system of many literary genres. These patterns opened a wide window for various critics to access these symbols and knowledge that were hidden in the context of the accompanying text and to liberate them from the hegemony of the text and the language applied to them. This created a wide field for the multiplicity of critical readings and the activation of various mechanisms of criticism while criticizing the text and drawing its linguistic and aesthetic features. This hastened the need to understand what the creator wants to convey in terms of ideas, visions, and cultural representations to the recipient in order to understand his premises and his implicit goals within the framework of the literary text. This has indeed been greatly embodied in the poetry of the distinguished Syrian creator (Reem Al-Sayed) through her poetic writings rich with these implicit cultural patterns.

Keywords: Cultural criticism ؛ patterns ؛ text ؛ representations ؛ Reem Elsayed.

1. مقدمة:

مجتمعات (المايا) و(الإنكا) و(الأستيك) في دول أمريكا اللاتينية أو لدى قبائل (الغجر) الموزعين على مختلف دول أوروبا الشرقية و في بعض من الدول العربية أو حتى عند بعض من قبائل (الأمازيغ)، (الإموهاغ)، (التوتسي)، (الهوسا)، (الهوتو)... إلخ الموزعين على العديد من دول القارة الإفريقية، وغيرها من الأمم والمجتمعات البشرية الهامشية، وتبقى إشكالية خصوصية ثقافة كل مجتمع تشكل هاجسًا فكريًا يحدد خصوصية تلك الأمة ويشكل هويتها ونسقتها الفكري والثقافي بشكل عام، لكون هذه الأنساق تختلف من مجتمع إلى آخر. ويؤرخ التاريخ البشري بالكثير من الأمثلة العميقة الدالة على فشل الاتصال بين العديد من الجماعات البشرية لكون الثقافة في النهاية هي طقس خاص لكل أمة من الأمم من خلال الهوية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية. التي تميزها عن غيرها.

ومع ذلك حققت الثقافة منعطفًا جديدًا ونقلة نوعية في الحفاظ على مكونات المنظومة الاجتماعية، والفكرية للعديد من الحضارات الإنسانية من خلال الدمج والمزج بين مختلف الأنساق المؤسسة لفعل الثقافة من خلال نظرة استراتيجية عميقة تهدف إلى تفكيك مكونات كل ثقافة، بحثًا عن أنساقها المتداخلة فيما بينها وصولاً إلى القراءة المنتجة والتفاعلية ومن هنا نجد أن التواصل مع فعل الثقافة يبقى عملاً بحاجة ماسة إلى نظرية نقدية تحقق مرجعية النسق، وفاعلية الثقافة المؤسسة لنظام المجتمع المحيطة به.

2. الدرس النقدي الثقافي :

لقد أدت الثقافة دورًا بالغ الأهمية في الحفاظ على مختلف العادات والتقاليد والطقوس المادية والفكرية للعديد من المجتمعات الإنسانية، وهذا الأمر الأساس قد شكل نقطة التقاء بين مختلف الأفكار والمعارف لمختلف الأمم والحضارات مما مكّهم من التجاوب مع العديد من الفلسفات التي قدمت خدمات جليلة للإنسان في فهم محيطه الفكري والتأقلم مع مختلف التغيرات المصاحبة له لتصبح مركزية الثقافة في حياة كل مجتمع تمثل علامة بارزة في التطور المورفولوجي له، ذلك أن " الثقافة نسق معقد من الرموز المختلفة أي إن الرموز هي أساس قيام كل التنظيمات الاجتماعية، من سياسية واقتصادية ودينية " (شعبو، 2006، ص32)، وعلى كل فرد التعايش مع هذا النسق وفق فلسفته ورؤيته الاستشرافية.

إن قضية صناعة الثقافة داخل المجتمعات الإنسانية باتت تشكل مطلبًا حقيقيًا في تحقيق التوازن، وخلق الهوية الرسمية لذلك المجتمع الذي يحدد لنفسه مسارًا لمكونات ثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات، وتبقى الهوية الثقافية هي الأيقونة الأبرز التي تطرح المأزق الفكري بين مختلف الأمم والشعوب من مختلف الأقليات والإثنيات لشعوب العالم القديم، وهذه المعضلة كانت سببًا مباشرًا في اندثار العديد من الهويات المحلية عند مختلف قبائل العالم القديم، خاصة بعدما سادت فكرة التوسع والغزو لدى أباطرة أوروبا و الإستلاء على مقدرات حضارات العديد من الشعوب والأمم مثلما حدث مع قبائل (الهنود الحمر) في أمريكا الشمالية، أو

حضورها فيه، ممّا يعني الانتقال من قراءة النص كإبداع جمالي إلى قراءته بوصفه خطاباً ثقافياً يتعلق فيه النسق الجمالي مع التاريخي والاجتماعي والسياسي، وهذا المنحى في الحقيقة لا يمكن تجاهله عند تناول كل المضامين والأنساق الثقافية المشكلة له أثناء القراءة النقدية، فهي جزء لا يتجزأ من النسيج العام للمنهج والقراءة الواعية للنص المدروس.

إنّ الناقد أثناء تعامله مع المنهج النقدي الثقافي يجب أن يدرك أنّ كل خطاب لغوي يتأثر بشكل مباشر بثقافة المحيط الذي ينتمي إليه، مما يتشكل عنه حالة من عدم الاتزان المعرفي نتيجة المزالق السياسية والاجتماعية التي تعرقل المسار السوسيوثقافي للمجتمعات وعليه كان من الضروري أن يتمثّل الكاتب تلك التمثيلات الثقافية في إبداعه مزاجاً إياها بأدوات التخيل والتناسخ العدول الموظفة في بنيات النص، وهذا ما يسعى النقد الثقافي للكشف عنه من خلال الحفر في مختلف الأنساق الثقافية المضمرة لاستقراء آليات القراءة المناسبة، والتي تؤسس هيكل الإبداع من خلال أدوات التفكيك والتأويل الإجرائية للنقد الثقافي.

وعليه يمكننا التأكيد على أنّ "النقد الثقافي هو مزيج من الجمالي والتنسيقي، وهو يتناول النص الإبداعي والنص الثقافي معا فنحن حين نحلل النص الأدبي نحلل الجمالي فيه في المستويات اللسانية والبلاغية والإيقاعية والسميائية وغيرها، كما نحلل الأنساق المعلنة والمكبوتة ونقرأ الشيفرات والمرجعيات والسياق" (بعل، 2007، ص52) لتنتقل في نهاية المطاف قراءة النص أو تحليله من إدراكنا لهذه الحقيقة، فيصبح المتلقي بذلك في مأزق كبير من خلال

يبقى الحديث عن النقد الثقافي من أكثر القضايا أهمية لكونه مهتم غالباً بتعريف مختلف المضمرات الثقافية التي يقوم عليها الخطاب الفكري، خاصة وأنّ مسألة التفاعل مع النصوص الأدبية من منظور النقد الثقافي تعني قراءة هذا النموذج داخل نسق محدد سلفاً ليؤسس في الأخير صورة نقدية ثقافية متزاحمة الرؤى المضمرة والمرجعيات الفكرية المتداخلة بين ما هو كائن وما سيكون، وهذا ما يهدف إليه النقد الثقافي، ويسعى على إبرازه، وفرز أشكاله التناظرية داخل البنية الثقافية لمؤسسة المجتمع القائمة فيه، فتغدو هذه الصور الثقافية التي يؤثها الناقد داخل وعيه الفكري في حلة متعددة الأوجه والدلالات، وما اللغة الموظفة والصور الثقافية الهيكلية لها إلا وسيلة لنقل تلك التراكمات الثقافية المرتبطة أساساً ببيئة المؤلف، وإذا حاولنا مقارنة القراءة النقدية في نص أدبي ما من خلال تحليل الأنساق والأبعاد الثقافية المضمرة نجدها تعلق عن نفسها في مختلف دلالاتها الثقافية المشكلة له في لغة النص وجمالياته ومرجعياته السياقية ومختلف الأبعاد الثقافية المصاحبة له.

1.2. النقد الثقافي :

لم يعد البحث والتقصي في مرجعيات الدّراسات النقدية الثقافية حكراً على العلوم السوسولوجية فقط، بل ذهب العديد من الدراسات الإنسانية المعاصرة إلى تبني عديد المعطيات الثقافية كأدوات إجرائية تساعد على سر أغوار الخطاب الأدبي، وفهم خلفياته المصاحبة لبنياته، حيث يتحول هذا الخطاب من فهم سقفه اللغوي الجمالي إلى تجربة حقيقية أو علامة ثقافية يستمد منها سلطته وقوته من

مكونات هذا الإرث الفكري المشكل لنسيج كل أمة من الأمم لما يحمله من مرجعيات متداخلة بين مختلف الأطروحات والفلسفات النقدية المتشابهة بين الإبداع والنقد، وهذا في الحقيقة ما شكل عند العديد من المفكرين أزمة نقدية في التعامل مع النقد الثقافي بشكل مستمر من خلال مقارنته لمختلف النصوص الأدبية. ناهيك عن الإختلالات المتباينة بين مشارب كل ناقد ومرجعياته المذهبية والرؤى الفلسفية والجمالية في قراءة النصوص ونقدها وتمحيصها، فوّل هذا الاختلاف الفكري بين النقاد تنافراً حاداً في استخدام أدوات التحليل والنقد.

وعليه نجد أنّ الكثير من النقاد العرب قد حاولوا بشكل مباشر جعل منظومتنا النقدية تنطلق من عوالم بكر تسمح للناقد البحث في معالم الثقافة وصولاً إلى تبني نظرية دقيقة في ميزانها النقدي من أجل إظهاره للعيان والاستفادة من وجوده وهذا ما تحقق فعلياً في العديد من الدراسات النقدية الثقافية أثناء قراءة مختلف الإبداعات بشتى الطرق الإجرائية المناسبة، فقد بات النقد الثقافي ضرورة ملحة من أجل فهم ما جاء في مختلف النصوص الإبداعية وعرض العديد من المواقف والتجليات النقدية التي باتت تكشف عن تمظهرات الأنساق الثقافية داخل سياق النص، وعلاقة ذلك بماهية النص المستنطق بشكل يؤسس لهويته الإيديولوجية.

هناك العديد من الدراسات حول الثقافة والأنساق الثقافية على اختلاف مرجعياتها الفلسفية من أهمها نذكر:

*- كتاب فكرة الثقافة لـ تييري إيجلتون .

*- كتاب النقد الثقافي لـ أرثر إيزابرجر .

*- كتاب الثقافة والإمبريالية لـ إدوار سعيد .

عملية المكافحة المستمرة عن مختلف الأنساق الثقافية المضمرة التي نسجها الكاتب داخل خطابه بشكل معلن وغير معلن، وهذا الإشكال الحاضر داخل النصوص الأدبية هو ما يجعل مشروع هذا النقد يتجه إلى كشف أساليب الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة و وسائل متعددة المجالات، وأهم هذه الرؤى نذكر النسق المضمّر والحيل الثقافية التي توجه تفكيرنا، وهذا لن يحدث إلا عبر ملاحقة الأنساق المضمرة ورفع ما يعتريها من حجب لتتجسد بذلك الحقائق المتوارية خلف هذه الأنساق داخل الخطاب الأدبي الذي انبنى على أساسه النص الإبداعي.

وهنا نوضح مسألة أنّ الأنساق الثقافية تؤدي دوراً أساسياً في مقارنة النصوص الأدبية؛ ولا سيما النصوص الشعرية التي تختزل جوانب هامة من الحياة الإنسانية خاصة، وأنّ مسألة التحول النظري والإجرائي من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي يتعلق أساساً بقراءته لمختلف المضمّرات اللغوية والثقافية وكشفها للمتلقّي من خلال عملية الهدم والبناء داخل نسيج كل خطاب أدبي، وما يحمله من خروقات ومفارقات تتمثلها النصوص تمثلاً تلميحياً أو قصدياً إذ نجد "أن منظومة الأنساق الثقافية المكونة لذهنية أية أمة من الأمم تبقى كامنّة في نصوصها الأدبية الرسمية والشعبية، فهي تمثل إحدى الحقول الخصبة لنشاط و تمظهر مختلف الرواسب والمعطيات و الأنساق" (بومبراز، 2010، ص 88) في محاولة لتمرير رسائل مشفرة متعددة الأوجه الثقافية للمخاطب.

2.2. الدراسات الثقافية :

لقد تناول النقد الثقافي التراث العربي بشكله النقدي والمنهجي من خلال التنقيب في

*-كتاب الأنساق الثقافية لعبد الله الغدامي.
*-كتاب النسق الثقافي ليوسف عليما.

3. الأنساق الثقافية في شعر ريم السيد:

لقد تناولت الدراسة شعر(ريم السيد) من خلال الأنساق الثقافية المضمرة، وحضورها في نصوصها الشعرية، وقد أحصينا العديد من هذه الأنساق الثقافية، نذكر منها: الأنساق الاجتماعية / التاريخية/ السياسية / الدينية، / الأسطورية، وقد أدّت هذه الأنساق دورًا مهمًا في عملية المكاشفة والتفكيك والتأويل داخل نسيج المدونة الشعرية للكاتبة السورية- ريم السيد - من خلال ديوانها: (عندما أشرق في عيوني/ مقامات الوجد).

1.3. أشكال الأنساق الثقافية :

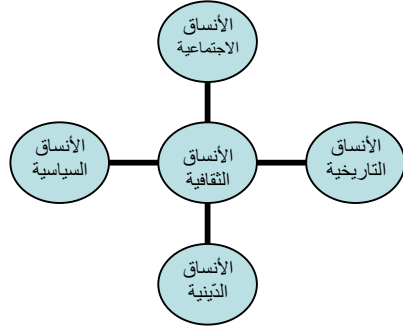
لقد أدّت الأنساق الثقافية تواجداً فاعلاً في نسيج النصوص الأدبية، وذلك بعدما شهدت الأنواع الأدبية انفتاحاً على خلفيات معرفية ذات بنيات جديدة بعد أن راح الأدب بأجناسه المختلفة يستعير ويستضيف أنواعاً أدبية وفنية من غير طبيعته داخل نسيجه اللغوي وفضاءاته الفكرية الثقافية، وذلك كاستراتيجية تجريبية لتفعيل الحضور الثقافي والفكري داخل نصوصه، وتظل هذه الأنساق تمارس حضورها في بنائية النص جمالياً، وفنياً، من خلال عدة أنواع منها الأنساق السياسية، الدينية، الاجتماعية والتاريخية ، والشكل الآتي يوضح ذلك.

الشكل 01 : أنواع الأنساق الثقافية

*-كتاب التفكيك الثقافي لعبد العاطي كيوان
*-كتاب النظرية والنقد الثقافي لجاسم الموسوي

و الملاحظ في الدراسات النقدية السالفة للذكر أنها تتأرجح في القراءة النقدية التي تتبناها بين ما هو إيديولوجي وما هو فلسفي، بعد اعتمادها على منهجيات غير موحدة في دراسة النصوص الأدبية، ومن ثمة تقديم قراءات نقدية متباينة في الطرح النظري والتصور واستخدام الأدوات الإجرائية المناسبة في القراءة والنقد وفق أساليب مختلفة منهجياً، وهذا الأمر نجده قد خلق أزمة كبيرة على مستوى المنهج أو البدائل التي يجب أن تستخدم في المقاربات النقدية لكون "النقد الثقافي يتصل في النظرية الغربية بعدة مداخل، ومصطلحات نقدية متداولة في تلك النظرية : التاريخية الجديدة، التحليل الثقافي، أو الشعرنة الثقافية، والدراسات الثقافية، والنقد الثقافي، والمادية الثقافية، ناهيك عن مفهوم الثقافة والمجتمع" (بعل، 2007، ص173)، وما زاد في تشعب هذا المنهج هو كثرة المصطلحات النقدية ومرجعياتها الغربية الأمر الذي وسّع المسافة بين النقد في تطبيق هذا المنهج أثناء عملية النقد، خاصة عند النقاد المشارقة الذين تبني أغلبهم المدرسة التاريخية الجديدة الأمريكية أو النقاد المغاربة الذين ساروا على نهج مدرسة فرانكفورت الألمانية، وهذا التشعب خلق خلخلة عميقة في المرجعيات وضبط المفاهيم والمصطلحات بين هذه المشارب النقدية، ومن هنا نؤكد على أنّ القراءة النقدية وفق آليات المنهج الثقافي يجب أن

إن نظرت في عينها
أثمر التفاح في خديها
تقطر العسل
من شفيتها
ستجد الكثيرات غيري
لكنك لن تعرف بعدي
امرأة لتكون أنت
بكامل رجولتك " (السيد، دت، ص 34-35)



1- الأنساق الاجتماعية :

إن البحث في الأنساق الاجتماعية يمثل صورة أخرى عن التمازج الفني والجمالي بين الأدب، وعلم الاجتماع، وما يحمله من تصورات معرفية تعكس الواقع الإنساني، وتمازجه مع الأدب، وعليه بات من المنطقي أن يمثل الكاتب تلك التجليات الثقافية في إبداعه مازجاً إياها بطاقت التخييل و التناس والعدول الموظفة في مساحات النص، وهذا ما يسعى إليه الدرس النقدي الثقافي، وإذا عدنا لمدونات الشاعرة (ريم السيد) وجدناها قد وظفت العديد من الأنساق الاجتماعية، والتي عددها الدراسة نذكر منها :

-أولاً- نسق الحب/ الفراق : وهذا يظهر جلياً في العلاقات الإنسانية، والتي تظهر حقيقة هذه العواطف المشحونة بطعم الحب والعشق تارة، والفراق والهجر للحبيب تارة أخرى وقد جسدت الشاعرة هذه الصورة الرومانسية لمشاعرها المكبوتة والمكبلة في زمن كبنت فيه حرية التعبير بمختلف أشكالها، والتي ظهرت جلية في ديوانها الأول: (عندما أشرق في عيوني) من خلال قصيدتها المسومة بـ: (بوح العيون) والتي تصور فيها لوعة الحب وحرقة، وغياب الحبب وهجرانه لمن يحب فتقول :

"ستحب.. لكنك

لن تجد امرأة مثلي

- ثانياً- نسق السلطة الأبوية/النسوية :

لقد أدت السلطة الأبوية دوراً بارزاً في التضييق على إبداع المرأة العربية، وقد سعى وساهم في وأد تجربتها الشعرية الفتية منذ العديد من القرون، وقد اعتبر إبداعها الشعري خاصة نقمة عليها ما سبب لها الكثير من الانتقادات الذكورية من المؤسسة الأبوية التي وجدت في منافستها الإبداعية خروجاً صريحاً عن الأعراف العامة للمجتمع، وقد تجلى ذلك في كتابتها بشكل ملفت من خلال حضور والدها (فؤاد السيد) بعدما وجد في ابنته (ريم السيد) المغلاة في مشاعرها النسوية في من تحب، فكان عليه تصحيح هذه المشاعر الصادقة، وهنا تتدخل السلطة الأبوية برفق، وفي هذا الصدد تقول في قصيدة (رسالة إلى رجل عادي) :

"لست تفاجئني

فأنا

لا استغرب منك الهجر

لا أستبعد عنك الغدر

وأعلم أن

الكذب الفائض من شفيتك

السارح من عينيك

يمكنه أن يروي دوماً

والعربي، في هذا الصدد نسوف العديد من المقاطع الشعرية التاريخية التي تعدد فيها تكم الشخصيات والتي منها:

أ- شخصية المتصوف ابن عربي :
" عرجت على قاسيون فإذا بروابيه تبكي
وطقوس الذكر في مقام ابن عربي
صارت فقط صلوات دعاء
لسلام سوريا

وسلام الشام " (السيد، 2016، ص194)

ب- شخصية زنوبيا/ جيوردانو/ يوليوس قيصر
" روما...

جنتك إلهة سورية
أطفئ نيران جيوردانو برونو
أبحث عن رفات زنوبيا
أوقف أمجادها
أستل سيف يوليوس قيصر
ومن الكولوسيوم
أعلن ولادة إمبراطورية الشرق
وإلى بلاد الشمس

أسير جحافلي
وهناك..

بالحب أعلن انتصاري " (السيد، 2016، ص214-215)

- ثانيًا- نسق الأماكن التاريخية : لقد صورت ووظفت الشاعرة الكبيرة (ريم السيد) العديد من الأماكن التاريخية التي علفت بوجودها وطبعت صورة مملوءة بالألم تارة والخوف من المستقبل تارة أخرى، ومن تلك الأماكن نكر منها: (مدينة كان الفرنسية/ مدينة دمشق عاصمة سوريا/ مدينة روساس الإسبانية/ مدينة باريس الفرنسية/ مدينة عمان العاصمة الأردنية/ مدينة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة/ مدينة تروا الفرنسية/ مدينة دوفيل الفرنسية/ مدينة شارتر الفرنسية/

عذراً أقبح من عذراً

فأنا أعرف أنك رجلٌ عادي" (السيد، د.ت، ص59)

2- الأنساق التاريخية:

ساهم التاريخ في توثيق العديد من القضايا الهامة، والتي كانت تمثل أيقونة في عالمها خاصة التي عالجت قضايا الوطن من تاريخ لأحداث أو معالم تاريخية أو لشخصيات هامة شكلت هويته التاريخية. ذلك أن " الأشخاص التاريخيين والأحداث التاريخية بشكل عام، لا ترسخ في الذاكرة الجمعية للإنسان القديم إلا لفترة وجيزة من الزمن " (السواح، 2012، ص109)، ومع ذلك قد وجدت ظلتها في التأريخ الشعري لها من خلال توظيف العديد من الشعراء لهذه المواقف والأحداث تدريجياً ليصبح الشاعر مؤرخاً لها من خلال التجريب الشعري، ولعل الشاعرة (ريم السيد) نجدتها قد أجادت واتفقت دور المؤرخ المتمرس من خلال شعرها، فتشكل لديها في النهاية : نسق مكتمل من الشخصيات التاريخية، والأماكن المحددة.

- أولاً- نسق الشخصيات التاريخية: يعد هذا النسق صورة جريئة عن حالة الوعي التاريخي والوعي الفكري عند الشاعرة وهذا ماتجسده فعلياً في شعرها بعدما استحضرت العديد من أيقونات التاريخ الغربي خاصة أبطال الإمبراطورية الرومانية الخارقين، والذين خلدتهم التاريخ الإنساني نحو: (جيوردانو برونو- يوليوس قيصر)، أو بعض الشخصيات التاريخية كشخصية المتصوف العربي الكبير (ابن عربي)، أو شخصية (الملكة زنوبيا) ملكة حضارة تدمر التي كانت على أرض سوريا، وهذا التوظيف التاريخ لهم في شعرها يكشف لنا عن عمق تاريخ وطنها (سوريا) الضارب في عمق التاريخ الإنساني

دُرَارُ

ولائي" (السيد، 2016، ص136)

د- مدينة روما الإيطالية: تمثل هذه المدينة صورة عن (المدينة المحاربة) كمعادل موضوعي لـ (مدينة دمشق) المنكوبة، وضرورة محاكاتها والسير على خطاها والبحث عن تأسيس إمبراطورية الشرق في النهاية، وهذا ما تجسده قصيدة (الإسراء إلى الشام)، حيث تقول:

"روما...

جنتك إلهةً سوريةً

أبحثُ عن رفات زنوبيا

أوقظُ أمجادها

أستلّ سيف بوليوس قيصر

ومن الكولوسيوم

أعلن ولادة إمبراطورية الشرق" (السيد، 2016، ص214)

3- الأنساق السياسية :

إن المتتبع للمشهد السياسي من خلال شعر (ريم السيد) يجد أنّ حضور السياسة في شعرها مظهر صحيّ لكونه يعبر عن النضج الفكري الذي تجسد في ذاتها الشاعرة، فالواقع المرير الذي مرّ به وطنها (سوريا) جعلها تتجرع مرارة هذا الخراب العظيم الذي أصاب بلاد الشام بوابة الشّعر والحب والسلام لتتحول بين عشية وضحاها لأرض الموت والخراب، وعليه نجد أنّ "السياسة في الأدب تحصر بمعناها التاريخي أي بما هي أشكال لوعيه وممارسته الحياة الاجتماعية، والأدبية ليمارس السياسة في إنتاجه ولكن بأدواته، (...) وما أصعب ذلك عندما يكون الشّعر هو أداة الرؤية" (سليمان، 1985، ص93)، ويبقى الشّعر يمارس سلطته في عملية التأريخ والمكاشفة السياسية بشكل مضمّر في الغالب.

مدينة روما الإيطالية وفي هذا الصدد نسوق بعض النماذج الشعرية المعبرة عن الأماكن التاريخية التي مرت بها الشاعرة في حياتها المملوءة بنبرات الحزن والخوف من القدر وما يحمله من أحلام تنتظر التحقيق، ومنها:

أ- مدينة كان: تشكل مدينة (كان) الفرنسية مدينة الإبداع والفنّ صورة فارقة في حياة الشاعرة وهي مقام للتأمل في الذات، والجمال والحبّ الذي ذكرها بوطنها (سوريا) فتصور ذلك المشهد في قصيدة عنوانها: (لجوء) فتقول فيها:

" ليتك

من قهر المسافات تأتني

طائر جنةٍ

على نافذتي تنقر

وتناجني" (السيد، 2016، ص26)

ب- مدينة دمشق: أمّا مدينة دمشق التي أصبحت مكاناً للموت والفناء والخراب فتصور حالتها المزرية التي تشبه حالة التيه والضياع التي تعيشها الشاعرة في ديار الغرب، وهذا ما نقلته الشاعرة في قصيدة (الإسراء إلى الشام):

"أنوار الشام منكسة

إن توهجت بين قذيفة وأخرى

لا لتضيء الدرب

إنّما لتكشفَ

عورات الحرب" (السيد، 2016، ص148)

ج- مدينة روساس الإسبانية: في (مدينة الورود) تجدد الشاعرة حبّها، وعشقها للحبيب الغائب/ الحاضر في وجدنها، وهذا ما توضحه قصيدة (أمير الياسمين) والتي تقول فيها:

"وها أنا اليوم

إلى مدينة الورود في إسبانيا أعود

لأجد أسراري قد أينتعت

-أولاً- نسق الوطن/النفي: بات هذا النسق يشكل معضلة حقيقية في مخيال الشاعرة (ريم السيد)، وهذا الضرر الذي لحق بها منعها من زيارته بسبب السلطة السياسية الحاكمة التي صنفتها ضمن لائحة الأشخاص غير المُرحب بهم وهذا ما تشير إليه قصيدتها الآتية : (وزن نبض واحد):

حُطَّتْ بحروفٍ مقدسةٍ.. بخطٍ مرتجفٍ منكسّر:
 ((قم للوطن وفّه التيجلا
 كاد الوطن أن يكون
 إلهاً.. ورسولاً)) " (السيد، دت، ص151)

4- الأنساق الدينية:

الأنساق الدينية كانت حاضرة ،من العديد من المشاهد التي وظفتها الشاعرة (ريم السيد) في شعرها من أجل تمرير رسائل مشفرة للمتلقى فكان حضور المعتقد الصوفي جلياً في شعرها من خلال شخصية (محي الدين ابن عربي)، ومقاماته التي عددها هذا التيار، وتبنتها الشاعرة كمنهج في نظم شعرها خاصة في ديوانها (مقامات الوجد)، إلى جانب حضور الفلسفة الروحية للديانة البوذية الوثنية ، وكل هذا الطرح والتوظيف الصوفي العقدي كان الغرض منه البحث عن البطل المخلص من اللعنة التي حلت بوطنها (سوريا).

-أولاً-نسق الإسلام/الصوفية: تمكنت الشاعرة توظيف التيار الفلسفي للمذهب الصوفي من خلال استحضار المقامات الصوفية في ديوانها (مقامات الوجد) من المدن التي زارتها بداية من مقام (التأمل) الذي كان في بداية المدونة في مدينة (كان) الفرنسية وصولاً إلى خاتمة المدونة في مقام (الحلول) في مدينة (روما) الإيطالية وهذا ما أشارت إليه الأسطر الآتية :

" عرجت على قاسيون فإذا بروايه تبكي
 وطقوس الذكر في مقام ابن عربي
 صارت فقط صلوات دعاء
 لسلام سوريا

4-

"ذهب إلى المطار

دون أمتعة ودون وثائق سفر
 والحين يهطل غزيراً كالمنطر
 أردت أن أستقل أية طائرة
 تأخذني إليك

استوقفي الموظف عند أول حاجز
 وقال بحزن

حتى قبل أن يطلب أوراقي:
 لا يمكنك الدخول سيدي

سألته بألم لماذا؟

أجاب: أنت ممنوعة من السفر " (السيد، دت، ص168-169)

- ثانياً- نسق الوطن/ المقاومة: وفي هذا النسق تتجلى صور المقاومة والتحدي السياسي من طرف الشاعرة (ريم السيد) التي ضاقت ذرعاً بما حل بوطنها (سوريا) من دمار مستهدف فكانت أسطرها الشعرية بمثابة لغة الرصاص التي تصوبها على المخربين له، وهذا ما توضحه قصيدة (الإسراء إلى الشام):

"لمحُتْ خوذة جندي صدمتُ انتظاراً

أمام مزق العلم المتناثرة

تدندنُ بصوتٍ مُهدجٍ..كتمهُ القهْرُ

((حُ.م.أ.د. .. الد.د.يا...ر

ع.ليب.كُم...س...لا...م م م م

وعلى ماتبقى من السبورة

قرأتُ عبارة رمي أخير

وسلام الشام" (السيد، دت، ص149)

أ- البعد الصوفي:

لقد تبنت الشاعرة (ريم السيد) البعد الصوفي في منتوجها الشعري من خلال حضور فكر الحلاج وابن عربي في نبرتها الشعرية كهوية في زمن باتت التجربة الأدبية للمرأة العربية مستهدفة، وتقع في مهبها، ومع ذلك كان لابد من قناع التصوف الذي لجأت إليه الشاعرة من أجل تمرير العديد من الرسائل المشفرة إلى المتلقي عبر نظمها مقامات متعددة منها:

-أولاً- مقام البوح: لقد شكل مقام البوح صورة حية عن حالة الشجن والآه التي تعانها الشاعرة من خلال حالة الحضور والغياب الصوفية للذات الأنثوية، وصراعها المبرر بين صوت العقل، وسلطة الوجدان، وقد جسدتها في العديد من القصائد، والتي منها: (قصيدة رحيق الحب)، والتي تقول فيها:

" طوال الصباح.. وأنا أردد

أحبك .. أحبك .. أحبك

أدندنُ اسمك

لتصبح .. أكثر عذوبةً

نغمات صوتي

تجتاحني حلاوتها

فتغرق .. العاشقة

تشعل .. المشتاقة " (السيد 2016، ص24)

- ثانياً- مقام الحب: لقد كانت سلطة الهوى داخل شعرها حاضرة بقوة كمقام يعكس الصورة الظاهرة النفسية لمشاعرها ففي ظل حالة الحب وتجلياته يصل الإنسان إلى مرتبة التوحد والاستغراق في روح محبوبه ، وقد مثلت العديد من القصائد هذا المقام، والنموذج الآتي من قصيدة (أجنحة عنراء) يجسد ذلك :

ثانياً- نسق الوثنية/ البوذية: يبدو توظيف المذهب الفلسفي للديانة البوذية عرضاً ليس قصداً بعينه عند الشاعرة لكون الغرض منه استحضار هذه الطقوس التنويرية من أجل الوصول إلى مرحلة (النيرفانا) كما يزعم أتباع هذا الديانة الوثنية، والتخلص من كل اللعنات والمصائب التي مست وطنها (سوريا)، وهذا ما توضحه قصيدة (تجليات)، والتي تقول فيها:

"على ضفة كل وادٍ وساقيةٍ

أراك بوذياً مسالماً

أقسم أن يعيد الحوريات إلى ممالكها

وأن يقطع شباك الصيد

أن يخمد نيران الشهوات

ويتأمل .. ويتأمل

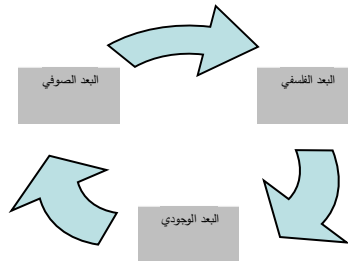
عساه يسبقني

في اعتلال قمم النيرفانا" (السيد، دت، ص158)

2.3 الأبعاد الثقافية:

من خلال التعاطي مع شعر (ريم السيد) وجدنا أنه يحمل العديد من الأبعاد الفكرية المتنوعة خاصة الفكر الصوفي، والفلسفي والوجودي وكل هذه الأبعاد داخل شعرها باتت تمثل أيقونات لذاتها، وماتحملة من معان ودلالات نسوية تعاني الغربية، وتشظي الذات داخل المجتمعات البطريركية، والنموذج الآتي يصور هذه الأبعاد :

الشكل رقم (02) الأبعاد الثقافية



مجال نظم الشعر، وإثبات ذاتها النسوية التواقة إلى الحرية، والتأسيس الفكري لمنحى شعريتها من خلال "إعادة الاعتبار للتواصل المفقود بين الآداب والفنون، وقراءتها من منظور يستكشف الثقافة واستخداماتها الاجتماعية" (خضراوي، 2012،

ص49)، وتبقى هذه الرؤية الشعرية تمثل نسق الحياة عمومًا حسب تصورها ليغدو النص الشعري مرادفًا لهويتها النسوية "فهو يتشكل أسامًا من التجربة السابقة والمكتسبات اللغوية والمعرفية والثقافية الماضية والمخزنة" (جيور، 2015، ص125).

ومع ذلك كانت المنطلقات النسوية لدى (ريم السيد) تشكل معلمًا فارقًا بين التصور الأنثوي المشحون بلغة الشجن والآه تارة، ولغة التحدي والمقاومة من تارة أخرى، لقد شكلت فلسفة السفر والترحال والغربة والحنين هاجسًا شعريًا جسدت من خلاله نظرتها لنفسيتها وصراعاتها مع المجتمع الأبوي الذي كان يحاصرها، ومع ذلك كانت مدونات (ريم السيد) بمثابة المفاتيح الشعرية المعبرة عن كيان المرأة بشكل عام، حيث أسهمت نصوصها الشعرية في "تحرير المرأة العربية، وفكها من استلاب الرجل لحقها في التعبير عن وجودها الإبداعي، ونقل مكنونات ذاتها للمتلقى حتى يرى صورتها الحقيقية دون زيف؛ فكان لابد على المرأة العربية من اتجاهات فكرية تؤسس من خلالها رؤيتها للواقع والذات والعالم الخارجي لكي يتسنى لها نقل فكرها للآخر، وبالتالي فقد ساهمت النبذة الفلسفية للمبدعة السورية (ريم السيد) في إعلاء مكانة المرأة الثقافية وسط مجتمعات لطالما حاولت كبح آفاقها الفكرية.

ج- البعد الوجودي:

"دعني أحيك لك

من شغاف القلب مسكنًا

ومن نور العيون شفاف الرداء

دعني أرزُ على جبينك

أزهارُ الغار قبلاً

وأشعلُ للحبِّ .. قناديلَ المساء" (السيد، دت، ص32)

- ثالثًا- مقام التجلي (التنوير):

لقد جسدت تجلي الحبيب صورة جميلة في التراث العربي بعد أن جسده العديد الشعراء في مختلف قصائد الشعر العربي التراثي القديم خاصة عند كل من (رابعة العدوية، عروة بن أذينة، أبي العتاهية)، وغيرهم من كبار الشعراء المتصوفة الذين غلب عليهم هذا الطابع، وهو طابع انتشر في العديد من الشعوب عبر التاريخ وهي حركة تحمل طابع التقشف والانصراف عن كل ملذات الدنيا وشهواتها، والاكتفاء بضروريات الحياة، وقد مثلت الشاعرة (ريم السيد) هذا المقام في العديد من قصائدها الشعرية لتشكل صورة فسيفسائية عن أفاقين ذاتها المكشوفة فمن ذلك تقول في قصيدة (تجليات):

"لقمة كل جيلٍ .. تتراءى لي

صوفيًا

زاهدًا متعبدًا

ملء نقي الحبيبات

نزقَ العاشقات ونزواتهنَّ

أحرقَ قصائده العصماء

وقرر الغزل والغرام" (السيد، دت، ص35)

ب- البعد الفلسفي:

شكلت الفلسفة في شعر (ريم السيد) رؤية ثابتة عن حياة الشاعرة، ودورها في فهم نمط الحياة الاجتماعية والفكرية للمرأة العربية المبدعة، ومن ثمة محاولتها بلورة منهج فلسفي في

"تتقاذفي الأمواج"
تلاطمني الأنواء
وللحيزات منذ سنين
لا هداً ولا سكنت
ليالي الغربة تقض مضجعي
طالت وطالت
وما قصرت
والروح هائمة هنا وهناك
وللسكينة يوماً.. ما نَشَدَتْ
أشلائي في شأمي تركتها
مبعثرة على جوانحك
وإني مارجعت
حنايي ضاقت ذرعاً
وبالدموع والألام قد كفرت" (السيد، دت، ص 171-172)

شكل البعد الوجودي في شعر (ريم السيد)
ظاهرة فنية في نظمها لكون الشاعرة كانت تبحث
عن ذاتها الممزقة بين وطنها سوريا والعديد من
العواصم الأوروبية والعربية التي تعيش فيها في
ترحال دائم تبحث عن الاستقرار في وطن مزقته
وبلات الحرب والمؤامرات والدسائس من الساسة
الحرب والغربيين على السواء، ف (سوريا) كانت
وما زالت كـ (جزيرة أطلنطس) المفقودة؟ والتي
تبحث عن من يأخذ بيدها ويخرجها من الدوامة
والكيد الذي لحق بها وجعل وطنها مرتعاً للخراب
والتيه والشتات وهذا ما تجسده قصيدة (طقوس
الحنين)، حيث تقول فيها:
"ما خبأته في حقيبي
عندما غادرتُ ترابك يا وطني
من وردٍ ونرجسٍ وباسمين
عصفت به دموعُ الحنين
جَفَفَتْ..
شوقُ غربي الحزين" (السيد، دت، 49)

وعلى العموم شكل البعد الوجودي صورة
كاملة عن حالة الشجن والتوتر والحنين الذي
عانت منه الشاعرة (ريم السيد) تبعاً رغم تكتّمها
عن حالتها النفسية المحبطة، لتأتي مدوناتها
الشعرية في نهاية المطاف تفضحها وتكشف
مصائبها الجلل ليغدو النص الشعري مساحة
ثقافية مكتظة بالعلل اللسانية المضمرة التي
يتولى النقد الثقافي إبرازها تدريجياً، فتغدو بذلك
الصورة الثقافية التي يقدمها المؤلف هيكلًا
ومركزًا للنص، وما اللغة وبنيات النص إلا منفذًا
لتمرير تلك الوصلات الثقافية المرتبطة أساسًا
بالبينة والتاريخ والسياسة والدين والمجتمع في
تناغم وانسجام تام ومن الطبيعي أن يصبح البعد
الوجودي في شعرها معادلاً عن حالة
الوطن/ الوجود/ الكيان/ الذات التي تريد
الاستقرار والخروج من مأزق التيه، والانكسار
الذي تعاني منه (سوريا) / الوطن كمعادل
موضوعي عند الشاعرة (ريم السيد).

وببقى الوجود في مخيال الشاعرة (ريم
السيد) يعكس أسلوب الحياة الذي تعيشه
الشاعرة بين عالم الحقيقة الوجودية، وهو مأساة
الوطن الممزق، وذاتها المجروحة المثخنة بالهموم
والمآسي؛ فالحياة في نظر الشاعرة عبثية لا
تسحق التضحية لكون الإنسان فيها مسير في
جميع أفعاله و سلوكاته وفق نظام خارجي مقدر
سلفاً يتحكم فيه، وهو ماعاشته الشاعرة من
مآسي لفراق وطنها (سوريا)، والتي كانت حاضرة في
كامل نصوصها الشعرية، فهذا الجرح الأبدى قد
شكل نسقاً ثقافياً بارزاً أنزفها حباً وعشقاً لوطنها
و لعائلتها ولكل أحبها و خلائها وكل الأماكن التي
عاشت فيها أجمل ذكريات طفولتها وشبابها، وفي
هذا الصدد تقول في قصيدة (جمر الذكريات):

4. خاتمة:

- إدريس ، خضراوي. (2012). الرواية العربية وأسئلة مابعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر. ط1، رؤية للنشر والتوزيع.

- أم الخير ، جبور. (2015). رواية الأسود يليق بك- بين التلقي ورصد الواقع. مجلة قراءات، ع05، منشورات جامعة معسكر.

- حفناوي، بعلي. (2007). مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن (المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات). الجزائر. دار الاختلاف، ط1.

- ريم ، السيد. (د.ت.). عندما أشرق في عيوني. باريس-فرنسا: ط1، منشورات لارماتان

- ريم، السيد. (2016). مقامات الوجد، بيروت - لبنان: ط1، دار الفراي.

- عائشة بومهرار. (2010). نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص الإبداعي. مجلة الناص، ع05 منشورات جامعة جيجل، الجزائر.

- فراس، السواح. (2012). الأسطورة والمعنى (دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية). دمشق - سوريا: ط1، دار علاء.

- نبيل. سليمان. (1985). أسئلة الواقعية والالتزام - سورية: ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع.

في هذا البحث تمّ عرض الدرس النقدي الثقافي وقضاياها المركزية التي استفزت العديد من الباحثين، وطرحت قضية استخدام النقد الثقافي كبديل أساسي لكثير من المناهج النقدية التي كانت محل أنظار المثقف والناقد العربي بشكل خاص، ومع ذلك تبقى فلسفة النقد الثقافي محل جدل وتجادل بين العديد من النزعات الفكرية والقراءات النقدية، وهذا لتعدد المشارب، والمدارس الفكرية التي تشرب منها كل عقل مفكر، كما كانت الدراسة التطبيقية التي أُعدت حول شعر (ريم السيد) تحمل في طياتها العديد من الأنساق الثقافية المضمرة، والتي تعددت بين الأنساق الاجتماعية، والتاريخية والسياسية والدينية الموظفة داخل نسيج النص الشعري وعليه تعدّ تجربتها الشعرية تجربة ناضجة مملوءة بخزان معرفي يختزل الفكر بكل أطرافه بشكل لامتناهي لمختلف الأزمنة والأمكنة بين الممكن والمستحيل، فهي تعبير عن أهات امرأة فقدت وطنها (سوريا) الذي تغربت عنه خاصة بعد الربيع العربي الذي كان وطنها جزءاً منه ، فكان لزاماً عليها العيش متنقلة بين العديد من العواصم الأوروبية باحثة عن الحرية وشيء من الاستقرار وإثبات ذاتها النسوية.

5. قائمة المراجع:

- أحمد ديب، شعبو. (2006). في نقد الفكر الأسطوري والرمزي (أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني. طرابلس - لبنان: ط1، المؤسسة الخديثة للكتاب.